عرب ومسلمون يهاجرون إلى هوليود.. ما الذي تغير؟!

بعد الحرب العالمية الأولى، استحوذت هوليود على نصيب الأسد من الإنتاج السينمائي العالمي، وباتت أفلامها هي الأكثر انتشاراً في العالم كله، ومع أن صناعة السينما كانت قد نهضت في أوربا والهند والصين بعد ذلك، إلا أن هوليود قطعت شوطاً لم يعد من السهل اللحاق به، حتى أصبح نجومها بمنزلة العلامة التجارية الناجحة التي يستثمرها المنتجون ويتفوقون بها على جميع المنافسين حول العالم، حيث لم يكتب النجاح للكثير من الأفلام الرائعة التي أنتجت في أوربا وغيرها في منافسة أفلام هوليود، حتى إن تساوت معها في جميع المعايير الفنية والإبداعية. وهكذا أصبحت هوليود قِبلة للناجحين في صناعة السينما من الاختصاصات كافة، الذين تستقطبهم من أنحاء العالم كافة، وكان منهم بالطبع عرب ومسلمون.

وكما مرّ معنا في الفصل السابق، فإن معظم الأمريكيين من ذوي الأصول العربية والإسلامية لم ينجحوا -وربما لم يحاولوا- في تشكيل طبقة أو (لوبي) لتوحيد مواقف خاصة بهم في هوليود التي تمكنوا من تسلق سلم الشهرة والنجومية فيها، شأنهم في ذلك شأن الدول التي هاجر أجدادهم منها، وإذا كان ذلك يعود في الأساس إلى كونهم قد نشؤوا في المجتمع الأمريكي وتشبعوا بثقافته واندمجوا فيه، فيحق لنا أن نتوقع من زملائهم المهاجرين الجدد موقفاً آخر.

محمد يقطين يفتتح سلسلة المهاجرين العرب

يُحسب اكتشاف أول ممثل عربي هاجر إلى هوليود للناقد اللبناني محمد رضا عندما عثر على اسم (**فرانك لاكتين**) بالمصادفة بعد موته بنحو خمس وثلاثين سنة[١]، وقادت هذه المصادفة رضا في رحلة بحثه عن الممثل الراحل من هوليود إلى قرية (قب إلياس) اللبنانية، إذ تبين له أن هذا الممثل المغمور الذي شارك في الكثير من الأفلام الصامتة حتى منتصف القرن العشرين ليس إلا (**محمد يقطين**)، الذي ولد في لبنان سنة **١٨٧٩** وهاجر مع أمّه وأحد إخوته في مطلع القرن العشرين إلى الولايات المتحدة هرباً من خلافات عائلية، ثم ظهر على الشاشة في **١٨٩** فيلماً كان أولها فيلم (**التهديد الأصفر**/ The Yellow Menace) سنة **١٩١٦**، وآخرها (**قدّاس لمقاتل**/ Requiem for A Gunfighter) سنة **١٩٦٥**، وهو الفيلم الذي سبق وفاته بثلاث سنين عن عمر يناهز السبعين سنة.

ويذكر رضا أن الراحل كان قد اعتاد على تمثيل شخصيات أجنبية عدّة؛ فهو مكسيكي في (**سهم الانتقام**) (**١٩٢١**)، وإيطالي في (**الرامي الأخضر**) (**١٩٢٥**)، وصيني في (**التحذير**) (**١٩٢٧**)، إلى جانب ظهوره عشرات المرّات في دور هندي أحمر أو هندي شرقي، أو حتى عربي، وكانت أدواره لا تحمل اسماً في كثير من الأحيان، كما أن معظمها كان ثانوياً أو غير ناطق، وقد لا يتجاوز دوره أحياناً الظهور في لقطة واحدة، بل إن اسمه لم يُذكر في الكثير من الأفلام التي ظهر فيها!

ويبدو أن الضريبة التي دفعها أول ممثل عربي يهاجر إلى هوليود لم تقتصر على تهميشه حتى آخر أيام حياته، بل يبدو أنه لم يجد ما يمنع

(١) صحيفة السفير، العدد١٠٧٠٤، ٢٢/ ٠٥/ ٢٠٠٧.

ظهوره في دور العربي الشرير منذ تلك الأيام الأولى في تاريخ السينما، وكأنه يدشن بذلك -عن غير قصد- طريق من تلاه من الهوليووديين العرب الذين ساعدوا على تكريس تلك الصور النمطية. ففي فيلم (**طرزان الشجاع**/ Tarzan The Fearless) المنتج عام **١٩٣٣** يقوم محمد يقطين بدور العربي الشرير (عبدل) الذي يحضّ سيده الأمير على خطف الفتاة الجميلة (جاكولين وَلز) أثناء بحثها عن الحيوانات في الغابة، لينقذها البطل طرزان من قبضته.

وفي الفترة نفسها، تمكن ممثل عربي آخر من الوصول إلى هوليود، وظل محصوراً أيضاً في أدوار هامشية، وهو **جميل حسّون** المولود في سورية سنة **١٩٠١** والمتوفى عن **٩٠** سنة في عام **١٩٩٢**، وكان أول ظهور له في فيلم (**فكرة امرأة**) الذي عرض سنة **١٩٢٩** بعد انتهاء حقبة السينما الصامتة بسنتين، ومع أنه حصل على أدوار أكثر أهمية وشارك في فيلمي (**كازابلانكا**) و(**السندباد البحّار**) لم يظهر اسمه العربي على الشاشة إلى جانب الممثلين الآخرين![1].

عمر الشريف.. أول من يطرق باب النجومية

وُلد عمر الشريف سنة **١٩٣٢** باسم **ميشيل ديمتري شلهوب** في عائلة كاثوليكية ثرية هاجرت أصولها من سورية إلى الإسكندرية، وانتسب في صغره إلى مدارس فرنسية وإنجليزية داخلية مما ساعده على إتقان اللغتين في وقت مبكر، وتصادف أن يتعرف زميله يوسف شاهين في المدرسة نفسها، وأن ينشأ كل منهما على حب الفن، فبدأ ميشيل بتقديم بعض تجاربه على المسرح قبل أن يتجاوز الثانية عشرة، في حين سافر شاهين إلى الولايات المتحدة لتعلم الإخراج السينمائي، وعند عودته إلى مصر

(١) صحيفة السفير، العدد ١٠٧٠٤، ٢٢/ ٠٥/ ٢٠٠٧.

قدّم لزميله القديم دور البطولة أمام فاتن حمامة في فيلم (**صراع في الوادي**) (١٩٥٤)، وابتدأت بذلك علاقة متينة جعلت منهما ثنائياً ناجحاً، ودفعت بميشيل إلى اعتناق الإسلام وتغيير اسمه إلى عمر الشريف للزواج من فاتن عام ١٩٥٨.

وفي عام ١٩٦٢ قرر المخرج البريطاني المعروف (ديفيد لين) إسناد دور ثانوي في فيلمه (**لورنس العرب**) إلى ممثل عربي يتقن الإنجليزية[١]، ولم تكن أدوار العرب تُسند إلى ممثلين عرب آنذاك باستثناء (الكومبارس) الذين يمثلون دور العرب الأشرار في أثناء تصوير بعض الأفلام في تونس والمغرب، ولكن موهبة عمر الشريف أقنعت (ديفيد لين) فقرر منحه دوراً أكثر أهمية كان سيُسند إلى ممثل بريطاني، وهو أول دور مهم في هوليود يقوم به ممثل عربي لم يولد داخل الولايات المتحدة، واستحق الشريف هذه الأسبقية بجدارة بأدائه المقنع لدور الشيخ علي أمام النجم الإيرلندي (بيتر أوتول)، ورُشح عن هذا الدور لجائزة الأوسكار عن فئة أفضل ممثل مساعد، ومع أنه لم يفُز بها فقد فاز بجائزة (الجولدن جلوب) عن الفئة ذاتها.

يحكي الفيلم قصة الثورة العربية ضد العثمانيين في الجزيرة العربية بمساعدة البريطانيين، حيث عمل الضابط الإنجليزي (لورنس) وسيطاً بين البريطانيين والعرب لتحقيق الانفصال عن الأتراك تحت اسم الاستقلال، وحرص الفيلم على تقديم شخصية (لورنس) المثيرة للجدل في صورة المخلّص الذي أُرسل بمهمة سامية لتحرير قبائل البدو من الاضطهاد،

(١) شارك الفنان المصري **جميل راتب** أيضاً في هذا الفيلم من خلال دور ثانوي (ماجد)، وكان راتب قد بدأ مسيرته الفنية في مسارح باريس التي درس فيها التمثيل المسرحي عام ١٩٤٦، ولكنه لم يتابع مشواره في هوليود على خطا زميله عمر الشريف بل عاد إلى مصر وفرنسا واحتل موقعه المهم في الدراما المصرية.

والذي يبذل الكثير من الجهد لتوحيد صفهم وإقناعهم بالتخلي عن رؤيتهم الوحشية للحرب بوصفها وسيلة للنهب واسترقاق الأسرى. وقد صُور الفيلم في صحاري الأردن والمغرب، وفاز بسبع جوائز أوسكار كانت من بينها جائزة أفضل فيلم وأفضل مخرج، وما زال يُصنف حتى الآن ضمن قائمة أفضل عشرة أفلام في تاريخ هوليود، مما ساعد على ترسيخ الصور النمطية للعرب والمسلمين، والذين ظهروا في هيئة وحوش يرتكبون القتل لأتفه الأسباب وقلوبهم بلا رحمة حتى مع أطفالهم، فضلاً عن قبح مظهرهم وبدائية معيشتهم في الصحاري القاحلة[1]، ولكن ذلك لم يمنع بعض الصحف العربية من الاحتفاء بنجاح عمر الشريف في الوصول إلى هوليود عبر هذا الفيلم!

استقر عمر الشريف في هوليود إثر هذا النجاح وتابع العمل مع المخرج نفسه، فقام بدور البطولة في فيلم **(دكتور زيفاغو)** عام **١٩٦٥** الذي نال الكثير من إعجاب النقاد مع أنه لم يُرشح للأوسكار، ثم تنوعت الأدوار التي أسندت إليه بسبب لكنته غير الأصلية في كل من الإنجليزية والفرنسية والإيطالية، فأدى دور الثائر اليوغسلافي (دافيش) في فيلم **(الرولز رويس الصفراء)** (١٩٦٤)، وابن الزعيم الأفغاني في فيلم **(الفرسان)**، والأمير النمساوي الذي يموت من أجل حبيبته في فيلم **(أماير**

(١) لا ننفي حقيقة تخلف العرب في تلك المرحلة من تاريخهم، ولكن إظهار العرب جميعاً على أنهم بدو يعيشون في الصحراء ليس صحيحاً، فحتى في أكثر تاريخهم انحطاطاً كانت حواضرهم عامرة بشتى مظاهر المدنية، والأسوأ من ذلك أن يصر الغرب حتى اليوم على إغفال العصر الذهبي للحضارة الإسلامية وحذفه من تراثهم وذاكرتهم لتزامنه مع عصر الظلام الأوربي، وكأن التاريخ بدأ مع الإغريق والرومان الذين انفردوا بالحضارة دون بقية الشعوب ثم دخل في غيبوبة طويلة ليصحو من جديد مع النهضة الأوربية، أما العرب فلا تلتفت هوليود إلى وجودهم إلا في عصر انحطاطهم منذ أواخر الحكم العثماني حتى اليوم!

لينج)، والجنرال النازي (جرو) الذي يحقق في جريمة جنسية ارتكبها جنرال ألماني في فيلم (**ليلة الجنرالات**) (١٩٦٧)، كما أدى دور الثائر الشيوعي (تشي غيفارا) في فيلم (**تشي**) عام **١٩٦٩** مع عدم وجود أي شبه في الملامح[١]، بل أُسند إليه في بعض الأحيان دور شخص ياباني، وكأنه بات مرشحاً للأدوار التي تتطلب لكنة إنجليزية غير محلية وبغض النظر عن الاعتبارات الأخرى!

استمر عمل الشريف في هوليود وباريس حتى نهاية الثمانينيات، وظل طوال هذه العقود النجم العربي الوحيد الذي تمكن من تحقيق العالمية، والقدوة الأعلى للشباب العرب الذين يطمحون إلى النجومية في هوليود. ولكن هل تحقق له كل هذا النجاح مجاناً ومن دون ضريبة؟ وهل كان يمثل العرب والمسلمين حقاً في عاصمة السينما العالمية؟

اعترف عمر الشريف في لقاء نشرته جريدة الأخبار بأنه «التزم الصمت كثيراً عندما تعامل مع اليهود في هوليود، **حتى يكمل مشوار العالمية.** ولأنّ دفاعه عن بلده في تلك الظروف كان يعني عودته إلى القاهرة من جديد»، ولكنه يرى في المقابل «أنّ هذا الصمت وفّر له التعبير عن حضارة بلده، عندما أصبح الممثل المصري الأشهر في أوربا وأمريكا، وهو ما يشجع النجوم الأجانب على المشاركة في مهرجان القاهرة فقط من أجل عمر الشريف»، وقد يعني ذلك أن المكسب الوحيد الذي حققه كان في تشجيع النجوم الأجانب على تشريف العرب بالمشاركة في مهرجان القاهرة السينمائي!

---

(١) أعلن عمر الشريف في وقت متأخر أنه نادم على دوره في فيلم (تشي) لأنه أساء إليه، مشيراً إلى أنه لم يكن يعرف بوقوف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (C.I.A) خلف هذا الفيلم، وأنه لم يكتشف الكذب في قصته الملفقة إلا في مرحلة متأخرة. [صحيفة أخبار الخليج البحرينية، ٢٠٠٨/٢٨/١١].

ومن الجدير بالذكر أن عمر الشريف كان قد أثار غضب الصحافة العربية عندما قبّل شفتي الممثلة اليهودية **(باربرا سترايسند)** في فيلم **(فتاة مرحة)** عام **١٩٦٨**، وكان ذلك بعد سنة واحدة فقط من حرب **١٩٦٧** التي تمثل ذكرى مريرة للعرب، خصوصاً أن (سترايسند) لم تُخفِ دعمها لدولة الكيان الصهيوني، مما دفع مكتب مقاطعة إسرائيل إلى حظر الفيلم في الدول العربية.

كما تتالت الانتقادات لعمر الشريف منذ انتقاله إلى هوليود وانفصاله عن زوجته فاتن حمامة التي كسبت قلوب الكثيرين، واتهمه البعض بالاندماج في مجتمع النخبة في هوليود متجرداً من كل ما يمت إلى أصوله بصلة، حيث قدمه الإعلام الغربي في صورة (دونجوان) عربي، يحمل كأس النبيذ ويحترف اللعب بالورق (البريدج) ويتنقل بين الفنادق الفاخرة بصحبة الجميلات، ومن اللافت أن عمر الشريف أعرب عن ندمه أكثر من مرة بعد عودته إلى مصر في السنوات الأخيرة، إذ يقول في إحدى لقاءاته: «في عام **١٩٦٩** كنت أفكر في الزواج مرة أخرى، ولكن خسرت أموالاً كثيرة.. بل خسرت كل شيء من أسهمي ومدخراتي، عندما انهار سوق الأوراق المالية الأمريكية، ولأول مرة في حياتي بدأت أواجه مشكلات مادية، وأعترف بأنني كسبت أموالاً طائلة ولكن صرفتها.. لأنني كنت أتصرف كأحد نجوم السينما، الذين يبعثرون أموالهم بسهولة.. فكان لا بد أن أغير أسلوب حياتي، وأتوقف نهائياً عن المقامرة»، ويضيف أيضاً أنه وقع في غرام نجمات أفلامه لبعض الوقت، ويخص بالذكر باربرا سترايسند وآفا غاردنر وإنغريد برغمان وأنوك إيميه[١].

ويقول في لقاء تلفزيوني على قناة العربية: «يا ريت الواحد كان يبقى فيه إمكانية يغير حياته، للأسف الواحد ما يقدر يغير حياته وما يقدرش

(١) الشرق الأوسط، العدد ٩٧١٩، ٨ تموز/يوليو ٢٠٠٥.

يعرف لو غيّر حياته كانت رح تبقى أحسن أو أسوأ، يعني أنا النهار دا أفكر لو ما كنتش عملت لورنس العرب ده كنت سعيد أنا كنت قاعد في مصر، وأستاذ ومتجوز وسعيد في زواجي، لما سافرت وتشهرت ما قدرتش بقا أرجع أعمل أفلام عربي تاني، فدخلت في جو ما كنتش منتظره بقيت في هوليود وكدا وبيدفعوا لي فلوس كويس قوي، والواحد طبعاً اللي يمثل كلمة هوليود دي تغريه، كل واحد يحلم إحنا لما كنا صغيرين في مصر كنت بروح سينما كل يوم أنا نفسي أبقى زي دا، نفسي أبقى زي ده، فلما حصل إني بقيت زي دا نسيت نفسي»[١].

كما أطلق الشريف مفاجأة أكبر في السنوات الأخيرة حول مواقفه السياسية، عندما أعلن في المؤتمر السنوي للجنة العربية الأميركية لمكافحة التمييز العنصري، أنه أثناء وجوده في باريس قبل نحو ٣٠ عاماً، تلقى مكالمة هاتفية من السادات طلب منه فيها أن يحاول معرفة وجهة النظر الإسرائيلية بشأن إمكانية سفره إلى إسرائيل تمهيداً لعقد المصالحة. فما كان منه إلا أن توجه على الفور إلى السفارة الإسرائيلية في باريس وطلب مقابلة السفير لأمر عاجل، وبعد اتصال فوري بالقادة في إسرائيل جاء الإعلان بالترحيب الشديد بالفكرة[٢].

بناء على هذه المواقف، هاجمت بعض الصحف المصرية فكرة تولي عمر الشريف رئاسة مهرجان القاهرة السينمائي، بدعوى أنه جاهز للتطبيع مع إسرائيل، وأنه ظهر في عدة أفلام تسيء للإسلام والعرب، ولكن الشريف كان يرى دوماً أن موقفه من الأديان سيرسخ السلام والحوار بين الجميع، وهو ما دعا إليه في فيلمه (**السيد إبراهيم وزهور القرآن**) الذي أخرجه الفرنسي (فرانسوا ديبرون) عام ٢٠٠٣، وقام فيه عمر الشريف

(١) برنامج (مقابلة خاصة) على قناة العربية، ٢١ حزيران/يونيو ٢٠٠٦.

(٢) الشرق الأوسط، العدد ١٠٠٦٤، ١٨ حزيران/يونيو ٢٠٠٦.

بدور شيخ مسلم يتبنى طفلاً يهودياً يتيماً ويقدم له حلولاً جاهزة من القرآن الكريم لكل مشكلات الحياة، وحاز الشريف عن هذا الدور جائزة سيزر في فئة أفضل ممثل. كما يتباهى الشريف بأن ابنه طارقاً قد تزوج ثلاث مرات من يهودية ومسيحية ومسلمة، وأن لديه حفيدين أحدهما مسلم والآخر على دين أمه البولندية اليهودية.

في السياق نفسه، لا يعوّل بعض النقاد على التحول في أدوار الشريف الأخيرة كثيراً، ومنها دور المترجم العربي المرافق لأحمد بن فضلان في فيلم (**المحارب ١٣**) (**١٩٩٩**) وهو من الأفلام النادرة التي أظهرت المسلم في صورة حضارية مشرّفة، ودور المصري المسلم الذي يضطر إلى تقمص شخصية مسيحية هرباً من انتقام المتطرفين في فيلم (**حسن ومرقص**) (**٢٠٠٨**) وهو الفيلم الذي واجه الكثير من النقد حول تسطيحه لقضية التعايش بين المسلمين والمسيحيين في مصر. ومع حرص عمر الشريف على الظهور في صورة الفنان المتحرر والمؤمن بقضية الحوار بين الأديان، يشير نقاده إلى اعترافه أيضاً بأن دور (الدونجوان) لم يعد يُسند إليه إلا لتجاوزه السن المناسب! ولعل هذا ما يفسر قبوله المفاجئ بدور أمير عربي في واحد من أكثر الأفلام تحقيراً للعرب والإسلام، وهو فيلم (**هيدالغو**) (**٢٠٠٤**) والذي أعاد إلى الذاكرة حقبة الغباء الهوليودي المبكر في تشويه الشعوب وتزوير تقاليدها ومعتقداتها، وسيأتي الحديث عن هذا الفيلم لاحقاً.

وبغض النظر عن هذه الانتقادات فالإنصاف يستدعي الإشادة بقدرة شاب عربي في الثلاثين من عمره على الوصول إلى هوليود ومنافسة كبار نجومها، كما يُحسب له احتفاظه باسمه العربي المسلم مع أنه لم يولد به، وهو موقف لم يجرؤ عليه الكثير من الممثلين العرب الذين لم يحققوا في هوليود إلا القليل قياساً إلى نجاح عمر الشريف.

سيد بدرية يتابع المسيرة

على خطا عمر الشريف، انطلق الشاب المصري سيد بدرية في الثمانينيات من بورسعيد إلى بوسطن ثم نيويورك ليحط رحاله أخيراً في هوليود، ومحققاً حلمه في أن يصبح ثاني ممثل مصري ينضم إلى نقابة الممثلين الأمريكيين.

في إحدى حلقات برنامج في قناة الجزيرة وجه المقدم سؤاله إلى الممثل الأمريكي المصري سيد بدرية: هل كان يعرب عن أي تحفظ عندما تُسند إليه أدوار سلبية، فأجاب على الفور: «طبعاً ما باخُدش أي حاجة كده لازم أنا أغير»، ثم تحدّث عن ضرورة تغيير هوليود من الداخل وليس من الخارج[١]، وكان كلامه مقنعاً بحق، إلا أن بدرية نفسه اعترف في وقت سابق بأن بدايته في هوليود كانت على نحو مغاير. ففي اتصال هاتفي أجراه الكاتب الأمريكي (Laurie Goodstein) مع بدرية في أثناء وقوف هذا الأخير أمام (الكاميرا) في القاهرة للقيام بدور قائد عسكري لأحد أجنحة (حزب الله)؛ اعترف بدرية بأنه عندما وصل إلى هوليود لم يكن من السهل عليه إيجاد أي عمل، لذا قرر إطالة لحيته والظهور بمظهر العربي السيئ، وعندها لم يعد يجد أي صعوبة في الاختيار بين عدة أدوار تتراوح بين الإرهابي، خاطف الطائرة، خاطف الرهائن أو المسلح الإسلامي المتطرف، وكل ما في جعبته هو لحيته السوداء ولهجته الإنجليزية الغريبة. ثم ينقل الكاتب عن بدرية قوله: «لقد لعبت في العادة دور الشخص السيئ، الإرهابي أو شيئاً مشابهاً»[٢].

---

(١) برنامج (من واشنطن)، وكان عنوان الحلقة: (صورة أميركا بالعالم وصورة العرب والمسلمين بهوليود)، بتاريخ ٨/ ٧/ ٢٠٠٧.

(2) http://www.100megspop2.com/presca/lauriegoodstein.htm

قد يعني ذلك أن هوليود لن تتسع إلا لعربي واحد ينجح في أدوار غير عربية وأن الباب أُغلق خلف عمر الشريف[١]، حتى في وجه سيد بدرية الذي تخرج في أكاديمية سينمائية في نيويورك، مع كونه وسيماً، كما يصف نفسه في إحدى المقابلات، مما اضطره إلى القبول بالأدوار التي تكرس الصور النمطية المسيئة إلى العرب والإسلام، فكل ما يتطلبه الأمر هو لحية سوداء وملامح شرق أوسطية ولكنة إنجليزية غريبة، إضافة إلى (كبسولة مخدّر) للضمير قد يستمر مفعولها عشرين سنة!

على أي حال، حظي بدرية في السنوات الأخيرة ببعض الأدوار التي تقع خارج دائرة الإرهاب، ثم نجح في تأسيس شركة إنتاج خاصة به في هوليود يهدف من خلالها إلى كسر تلك الحلقة المفرغة، واستغل خبرته الطويلة لإنتاج فيلم (American East) والذي شاركه في بطولته الممثل **(توني شلهوب)**، وتدور قصته حول معاناة ممثل مسلم (عمر) في البحث عن فرصة عمل في هوليود، وإصرار المنتجين على حشره في دائرة لا تتعدى أدوار القاتل والإرهابي، كما يطرح الفيلم إشكالية أخرى من خلال العلاقة بين ثلاثة أصدقاء من الشباب الأمريكيين: مسلم مصري ومسيحي عراقي ويهودي أمريكي، ويقدم (سيد بدرية) رؤيته الخاصة للتوافق والانسجام بين أتباع هذه الديانات، والتي رأى فيها بعض النقاد دعوة للتطبيع الساذج، إلى جانب قصة حب تدور بين شاب أمريكي وفتاة

(١) لا ننسى هنا حصول بعض الممثلين العرب على أدوار لشخصيات غير عربية، ولكنها لم تصل إلى الدرجة ذاتها من الأهمية التي حصل عليها عمر الشريف، ونذكر على سبيل المثال غسان مسعود في (قراصنة الكاريبي) وهاني نعيمة في أدوار ثانوية. والأمر يكاد ينطبق حتى على الممثلين الأمريكيين ذوي الأصول العربية والذين يحملون الجنسية الأمريكية منذ ولادتهم ويعملون بأسماء غربية، فحتى جائزة الأوسكار لم تشفع للممثل (ف. موراي أبراهام) في الحصول على أدوار مهمة منذ حصوله عليها عام ١٩٨٤.

مسلمة، وموقف أهل الفتاة الرافض لهذه العلاقة، وأدت هذا الدور الممثلة ذات الأصل الإيراني (**سارة شاهي**) التي يعود أصلها إلى الأسرة الحاكمة سابقاً في إيران، والتي تلقى الرفض من قبل بعض المتابعين في إيران بسبب أدوارها غير المحتشمة.

وقبل أن نبالغ في تفاؤلنا بتحول بدرية عن أداء الأدوار المسيئة التي بدأ بها مسيرته الفنية، نشير إلى أنه عاد مجدداً إلى المشاركة في أحد أكثر الأفلام إساءة وتحقيراً للعرب والمسلمين عموماً، ولقضية الفلسطينيين خصوصاً، وهو فيلم (**لا تعبث مع زوهان**) (**٢٠٠٨**) الذي سنتحدث عنه لاحقاً، ونخشى بذلك أن يكون بدرية قد تراجع عن أهدافه المعلنة وعاد بها إلى نقطة الصفر![1]

المغاربة الفرنسيون ينطلقون إلى العالمية

يشكل المغاربة الفرنسيون كما هو معروف شريحة مهمة في المجتمع الفرنسي، لها مشكلاتها وقضاياها الخاصة، وقد طوّر أبناء هذه الجالية من الجيلين الثاني والثالث أساليب جديدة لمعالجة مشكلاتهم ومحاولة الاندماج في مجتمعهم الأوربي، وكانت الفنون على تنوع أشكالها من المجالات المهمة للتعبير عن آرائهم ولفت الأنظار إلى مشكلاتهم.

---

(١) يبرر بدرية تجسيده لهذه الأدوار النمطية في هوليود بأن السينما الأمريكية أخذت صورة الإرهابي المسلم من السينما المصرية، كما هو الحال في أفلام عادل إمام!.. وقد يكون هذا صحيحاً ولكنه غير مقبول، فخطأ السينما المصرية لا يبرر أي خطأ آخر، وإذا كان التنميط في العالم العربي قليل الخطورة بسبب معرفة المشاهد العربي حقيقة الإسلام، فالأمر مختلف تماماً في هوليود حيث تُسهل هذه الأفلام المؤدلجة مهمة السياسيين الذين يديرون حروباً ضد (الإرهاب) على أرض الواقع! [تصريح بدرية جاء في برنامج (محطات)، قناة العربية، ٢٨/ ٥/ ٢٠١٠].

وعلى صعيد الدراما، حقق الممثلون والمخرجون المغاربة نجاحاً لا بأس به في السينما الفرنسية، وكان لهم حضور أيضاً في المسرح، وبدرجة أقل في التلفزيون. أما النجاح الأكبر فكان في تجاوز بعضهم حدود فرنسا والانطلاق إلى عاصمة السينما العالمية (هوليود)، سواء بتصدير أفلامهم إلى الخارج أو بعملهم مع شركات إنتاج هوليودية.

يأتي اسم (**رشدي زم**/ Roschdy Zem) في الصدارة، إذ قام بالكثير من الأدوار في أفلام فرنسية ذات شهرة عالمية، مثل فيلم (**شركتي الصغيرة**/ My Little Business) المنتج عام **١٩٩٩** والذي أدى فيه دور المدرب الرياضي (سامي) وصديق زوجة صاحب الشركة التي يدور حولها الفيلم، كما ظهر في فيلم (Little Senegal) المنتج عام **٢٠٠١** حيث يظهر في دور المهاجر العربي إلى نيويورك (كريم) الذي يقيم في حي (هارلم) ذي الأغلبية السوداء ويعاني صعوبة الاندماج، والفيلم من إخراج (**رشيد بو شارب**).

لدينا أيضاً الممثل (**سامي بو عجيلة**) الذي بدأ بتحقيق نجاحاته في منتصف التسعينيات، وظهر في فيلم (**باي باي**/ Bye-Bye) من إنتاج عام **١٩٩٥** الذي يحكي قصة شقيقين تونسيين يهاجران إلى مرسيليا ليكتشفا أنهما في مدينة عربية في وسط أوربا. كما شارك أيضاً في فيلم (**الحصار**) سنة **١٩٩٨** الذي يُعد من أكثر الأفلام إساءة إلى المسلمين كما سيمر معنا لاحقاً في هذا الكتاب. أما التجربة الأولى للممثل الفرنسي من أصل جزائري **طاهر رحيم** في فيلم (**النبي**) فقد حققت مفاجأة كبرى باستحقاقه جائزتي أفضل ممثل وأفضل ممثل واعد في مسابقة (سيزار) الفرنسية عام **٢٠١٠**.

أما الممثل (**سامي ناصري**) فذاع صيته بعد أداء دور البطولة في الأجزاء الثلاثة للفيلم الشهير (**تاكسي**) الذي تخطى حدود فرنسا إلى

العالم كله. ولا ننسى الممثل (**زين الدين سوالم**) الذي صار اسمه معروفاً لدى معظم الجمهور الأوربي، والعديد من الأسماء الأخرى مثل **جليل لسبير، ألكسندر أركادي، وجاد المالح.**

ولعل أوفر الممثلين المغاربة حظاً هو (**سعيد طغماوي**/ Saïd Taghmaoui) الذي ولد سنة **١٩٧٣** في فرنسا لأبوين مهاجرين من المغرب، وتوجه إلى الملاكمة في صغره إلى أن اكتشفه المخرج (أوليفييه دان) سنة **١٩٩٤** وقدمه في الفيلم التلفزيوني (**الإخوة**) في دور شاب ملاكم، لتنهال عليه بعدها الكثير من الأدوار في السينما الفرنسية، ولكن طموحه كان أكبر منها فبدأ بتعلم لغات أخرى وتلقى دورات تدريبية في الأداء المسرحي، وجاءت فرصته الأولى نحو العالمية سنة **١٩٩٨** مع الفيلم البريطاني (**الغريب القبيح**/ Hideous Kinky) الذي أدى فيه دور البطولة إلى جانب النجمة (كيت ونسلت)، ويصنف البروفسور (جاك شاهين) هذا الفيلم ضمن قائمة الأفلام القليلة التي أظهرت العرب في صورة إنسانية، حيث يعطي الشاب المغربي (بلال) مثالاً رائعاً للرجل النبيل الذي يقدم المساعدة لسيدة أوربية كي تعود مع ابنتيها إلى الوطن دون مقابل.

وفي عام **١٩٩٩** انتقل طغماوي إلى هوليود، وقام بدور الكابتن سعيد في فيلم (**الملوك الثلاثة**/ Three Kings) الذي يصنفه (جاك شاهين) أيضاً ضمن قائمة أفضل الأفلام المنصفة للعرب، حيث يحكي قصة حرب الخليج الثانية من خلال ثلاثة جنود أمريكيين يحاولون الحصول على كنز من الذهب نهبه الجيش العراقي من الكويت، ويركز الفيلم على مأساة العراقيين وتنوع اتجاهاتهم السياسية بعيداً عن التنميط الذي اعتادت عليه هوليود.

ولكن طغماوي لم يثبت على هذا الموقف طويلاً، فسرعان ما انضم إلى قائمة الممثلين العرب الذين لا يرفضون الأدوار المسيئة، وأصبح من أكثر الممثلين العرب نشاطاً، إذ قدم في عام **٢٠٠٠** وحده ثمانية أفلام متتالية بين فرنسا والولايات المتحدة، مستغلاً بنيته الجسدية القوية، وبشرته المغربية الداكنة، وإتقانه لأربع لغات أوربية إلى جانب العربية.

ونذكر من أعماله فيلم (**هيدالغو**) (**٢٠٠٤**) الذي جسد فيه دور الأمير البدوي (ابن الريح) وبكل ما يتطلبه الدور من تنميط وتحقير، ثم جاء فيلم (**الخبز الحافي**)، من إنتاج سنة **٢٠٠٥** في إيطاليا، والمأخوذ عن رواية محمد شكري التي تحمل الاسم نفسه، والتي أثارت الكثير من الجدل منذ صدورها لقصر اهتمامها على الجانب المظلم لمدينة طنجة المغربية حيث قضى الكاتب طفولته مشرداً في شوارعها.

وفي عام **٢٠٠٦** قام طغماوي بعدة أدوار نمطية مسيئة، نذكر منها دور إرهابي أمريكي مسلم في مسلسل (**الخلية النائمة**) والذي سنتحدث عنه لاحقاً، كما ظهر في الفيلم الفرنسي (**جهاد**) ممثلاً شخصية شاب مغربي فرنسي يسافر إلى العراق مع اثنين من أصدقائه لقتال الأمريكيين، وفي الفيلم الأمريكي (**الأصابع الخمس**) مثَّل دور عميل مغربي للاستخبارات الأمريكية ويتظاهر بأنه مساعد رئيس خلية إرهابية للإيقاع بشاب هولندي حاقد على أمريكا، وقد نجح طغماوي في تنميط هذه الشخصية العنيفة نجاحاً لافتاً.

أما أكثر مشاركاته إساءة فجاءت في الفيلم الإيطالي (**يا قدس/** O Jerusalem) المأخوذ عن رواية صدرت عام **١٩٧٢** بالاسم نفسه للكاتبين: الفرنسي (دومينيك لابيير) والأمريكي (لاري كولنز) وحققت مبيعات تزيد على **٣٠** مليون نسخة، علماً بأن هذين الكاتبين اشتركا أيضاً في كتابة ثلاث روايات أخرى لا تهدف إلى شيء سوى تحقير العرب

ووصفهم بالإرهابيين، وقد نجحت مساعيهما في تنميط صورة الإرهابي المسلم عندما سارعت قناة (CNN) إلى تذكير المشاهدين عشية أحداث ١١ أيلول/سبتمبر بروايتهما (رجل الخيل الخامس) التي صدرت قبل عشرين عاماً وتخيلت وقوع أحداث مشابهة.

أما في فيلم (**يا قدس**) فنجد شاباً فلسطينياً (سعيد طغماوي) يعود من الولايات المتحدة إلى القدس بحثاً عن حلم بوطن اسمه فلسطين، ويتعرف إلى شاب إسرائيلي ليصبحا صديقين، ثم سرعان ما تتحول هذه الصداقة إلى عداء، ويُدفع المشاهد للتعاطف مع الطرف الصهيوني «صاحب الجذور الراسخة» في تلك الأرض في مقابل عدم استحقاق الفلسطينيين لأي مطالبة بها!.. ويعتقد بعض النقاد أن اشتراك ثماني شركات من عدة دول في إنتاج فيلم بميزانية متواضعة؛ أقل من ٢٠ مليون يورو، ليس إلا دليلاً على سعيها فقط إلى استرضاء اللوبي الصهيوني في هوليود وفتح باب التعاون في أعمال مستقبلية، ولا سيما أنها روجت لشائعات تزعم وجود نجوم كبار في الفيلم، ولكنها لم تفلح إلا في تكليف مخرج صهيوني مغمور (إيلي شوراكي)، وممثل أمريكي من الصف الرابع في هوليود (إيان هولم)، وممثل عربي يسعى إلى الشهرة (سعيد طغماوي)!

ومع كل هذه الأدوار غير المسؤولة وغيرها، يتباهى طغماوي بأنه «لم يتناول المخدرات يوماً، وبأنه لا يدخن السجائر، وبأنه يعمل ويكسب رزقه جيداً ويمارس مهنة على أعلى مستوى»[(١)]. وهو ما يدفعنا إلى التساؤل إن كان المقياس هنا هو إخلاص الممثل في عمله وأداء الدور المطلوب منه، بغض النظر عما يقدمه هذا الدور من أكاذيب وصور نمطية تحقر شعوباً بأكملها، وهي شعوب ينتمي إليها أجداده!

(١) ريم عزمي، الأهرام العربي، العدد ٣٢٨، ٥ تموز/يوليو ٢٠٠٣.

المخرجون يواجهون مصاعب أكبر

إذا كان منتجو هوليود قد اعتادوا على وضع العراقيل أمام الممثلين العرب والمسلمين وحصرهم في خانة الصور النمطية التي أرادوها لهم، فإن المشكلة ستصبح أكبر عندما يطمح أحدهم إلى العمل في مجالي الإخراج والإنتاج ومنافسة صانعي الأفلام وأصحاب القرار، فمعظم المخرجين والمنتجين الذين توجهوا إلى هوليود لم يتجاوزوا خطوطهم الحمراء في اختيار مواضيعهم، وقصروا فنهم على ما يقبل به أصحاب الحل والعقد.

أحد هؤلاء المخرجين هو المصري **أسعد قلادة** الذي ولد في القاهرة سنة **١٩٤١** ودرس في الجامعة الأميركية في القاهرة على يد المخرج يوسف شاهين الذي شجعه على السفر إلى الولايات المتحدة، وتمكن بالفعل من شق طريقه إلى هوليود وإقناع المنتجين بالتعاون معه لإخراج الكثير من المسلسلات التلفزيونية لأكثر من ربع قرن، ونذكر منها المسلسلين الكوميديين (**رودا**) (١٩٧٦-١٩٧٨)، و(**إذاعة (دبليو كي آر بي) في سينسيناتي**) (١٩٧٨-١٩٨٢)، والمسلسل العائلي (**من هو المدير؟**) (١٩٨٤-١٩٩٠)، وتجاوزت مسلسلاته الخمسة والعشرين مسلسلاً ناجحاً في القنوات الأمريكية، وهي موجهة بالأساس إلى المشاهد الأمريكي، ولا تمت بصلة في معظمها إلى ثقافة المخرج وأصوله العرقية، لذا ظل نجاحه هذا محدوداً بتجربته الشخصية.

تجربة أخرى ناجحة تكررت مع المخرج اللبناني الشاب **عمر نعيم**؛ نجل الفنانة نضال الأشقر والإعلامي فؤاد نعيم، الذي أُعجب به المنتج (نك وبستر) وساعده في اجتياز بعض عقبات هوليود، حيث تمكن عمر من إقناع شركة (ليون غيت) بإنتاج فيلمه الأول (Final Cut)، وكانت

المفاجأة عندما وافق النجم الأوسكاري (روبن ويليامز) على القيام بدور البطولة مع مخرج عربي في السادسة والعشرين من العمر.

يحكي الفيلم قصة خيالية تدور في المستقبل حول رجل يتخصص في إنتاج أفلام قصيرة عن حياة الأموات من خلال انتزاع رقاقة صغيرة تزرع في أدمغتهم منذ الولادة وتقوم بتسجيل تفاصيل حياتهم كلها، ليتم اقتباس الصور الجميلة منها عند الممات وعرضها في فيلم قصير في أثناء تشييع الجنازة، ويعيش هذا الرجل صراعاً داخلياً لتورطه في تفاصيل حياة الناس، والتي تذكره باستمرار بذكرياته المؤلمة منذ الطفولة. ومع أن القصة لا تمت إلى العرب والمسلمين بصلة، فقد تعمد المخرج الذي كتب القصة بنفسه إقحام بعض الشخصيات العربية ليمنح العرب الأمريكيين حق الظهور في صورة المواطنين العاديين بعيداً عن الصور النمطية[1].

في السياق نفسه، نذكر أيضاً المخرج **علي سليم** الذي أنجز فيلماً أمريكياً خالصاً يحمل اسم (Sweet Land)، عام **٢٠٠٦** ودون أن يضمّنه أي إشارة إلى العرب وقضاياهم، ويحكي الفيلم قصة فتاة ألمانية تهاجر إلى أمريكا في زمن الحرب العالمية الثانية بعد أن دبّرت لها عائلتها زواجاً من شاب أمريكي بالمراسلة، وتعاني الفتاة من مشاعر التوجس المنتشرة آنذاك حيال جميع الألمان خشية كونهم جواسيس للنازيين، ولفت الفيلم أنظار النقاد الأمريكيين لإخراجه المتميز، واستحق بذلك جوائز عديدة ومنها جائزة (سبيريت) للأفلام المستقلّة.

إزاء هذا النجاح الذي حققه عدد قليل من المخرجين العرب في هوليود، لم يحالف النجاح البعض الآخر، وخصوصاً أولئك الذين حملوا معهم قضايا مجتمعاتهم إلى هوليود، وقد لا تكون اهتماماتهم تلك هي

(1) http://main.mashy.com/index.pl/aractors?wid=1359&func=viewSubmission&sid=6618

السبب الوحيد في عدم تحقيق النجاح المنشود، إذ لا بد أن تؤخذ المعايير الفنية أيضاً بعين الاعتبار.

ونذكر من هؤلاء المخرج المصري **هشام عيساوي** الذي انتقل إلى الولايات المتحدة عام **١٩٩٠** لدراسة العلوم الإنسانية. ثم درس الإخراج وقدم أفلاماً وثائقية منها (**أنقذوا أبو الهول**). وفي عام **٢٠٠٦** أخرج فيلم (American East) الذي تعرضنا له سابقاً وهو من بطولة توني شلهوب وسيد بدرية، ولكنه لم يحقق نجاحاً كبيراً في أمريكا، وظل حبيس المهرجانات، مثل سندانس والقاهرة ودبي. مع عروض أخرى قليلة، ويعزو بعض النقاد السبب إلى تواضع مستوى الإخراج الفني وتدني أداء بعض الممثلين.

في العام نفسه أخرج المغربي **حسّان بن شيخة** فيلمه الروائي (**مرحباً إلى هوليود**)، وتناول فيه قصة شاب عربي يهاجر إلى أميركا حاملاً إليها أحلامه الكبيرة، ومع ذلك النجاح الأولي الذي يحققه في البداية من عمل ومسكن وحب، إلا أنه سرعان ما يصطدم بعدها بالعراقيل التي تهبط به إلى قعر المجتمع، فيجد نفسه عاجزاً عن تحقيق أحلامه من جهة وعن العودة إلى الوطن من جهة أخرى، ويأتي هذا الفيلم أيضاً ضمن مجموعة من الأفلام التي أنتجها مخرجون عرب لتقديم وجهات نظرهم الخاصة حيال أزمة الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر وما بعدها، ولم يحظ الفيلم أيضاً بالكثير من الانتشار.

تضاف إلى هذه التجارب المتعثرة محاولة أخرى كان سيكتب لها النجاح لولا اصطدامها بعوائق من نوع آخر لم تكن بالحسبان، وجاءت هذه المحاولة من مخرج تونسي- فرنسي يحمل خبرة جيدة في الإخراج السينمائي، إذ نشرت بعض الصحف العربية على هامش تغطيتها لمهرجان كان السينمائي عام **٢٠٠٤** نبأ توقيع عقد جديد بين المخرج التونسي **رضا**

الباهي والنجم الأوسكاري (مارلون براندو) بطل الجزء الأول من سلسلة (العراب) الشهيرة، واحتفت الصحافة بهذا الخبر الذي زفه إليها الباهي مشفوعاً باقتناع براندو التام بفكرة الفيلم التي يرى أنها تدافع عن حقوق المسلمين المهضومة في أمريكا، إلى درجة اقتراحه بأن يُختتم الفيلم بإرسال بطله العربي إلى غوانتانامو للمزيد من إدانة الغطرسة الأمريكية، وهو ما وجد فيه الباهي شيئاً من المبالغة.

المؤسف في الأمر أن وسائل الإعلام سرعان ما نشرت بعدها نبأ وفاة (براندو)، وكانت خسارة كبيرة للعرب والمسلمين الذين استبشروا خيراً بموافقة أول نجم أمريكي بهذا الحجم على دور يخدم قضيتهم وبتوقيع مخرج عربي، كما كانت صدمة كبيرة للمخرج الذي بذل الكثير من الجهد في الإعداد بمشاركة براندو نفسه.

مواقف براندو الإنسانية النادرة كانت وحدها كفيلة بتوقع دعمه الكبير للمسلمين في هوليود، فعندما فاز بالأوسكار عن دوره في (العراب) عام **١٩٧٢** أرسل فتاة من الهنود الحمر لاستلامها مستغلاً الحدث للفت أنظار الأمريكيين إلى حقوق هذه الأقلية المستضعفة. ونقل الكاتب محمد رضا، المشارك في إعداد فيلم الباهي، أن براندو كان قد أخبر الباهي قبل موته بأسفه الشديد على دعمه لدولة الصهاينة سياسياً ومادياً وعاطفياً في الخمسينيات والستينيات لما تعرّض له اليهود من مجازر خلال الحرب العالمية الثانية، وأنه أدرك فيما بعد الفرق بين اليهودية والصهيونية؛ وهو أمر نادراً ما يحدث بين الأمريكيين، خصوصاً عندما رأى المخيّمات التي كان يعيش فيها الفلسطينيون المشرّدون في لبنان، وامتنع بعدها عن تأييد دولة تفعل بالفلسطينيين ما فعلته ألمانيا بهم[١].

ثم يذكر براندو للباهي قصة أخرى تدعو للمزيد من التفاؤل فيقول:

---

(١) محمد رضا، صحيفة الخليج، ٢٨/ ١٠/ ٢٠٠٨.

«ذات مرّة زرت المغرب ونزلت في دار، لم يكن همّي الاختلاط اجتماعياً أو التعرّف إلى أي شيء. كان كل شيء متوافراً، وكنت خلال وجودي أستمتع بحياة رغدة. ذات يوم لم أستطع النوم فبقيت صاحياً لساعة متأخرة من الليل. فجأة سمعت شيئاً غريباً يدلف عليّ من كل جانب... كان الأذان، أذان الفجر، صعدت سطح المبنى ووقفت أنظر إلى تلك المآذن وهي تطلق تلك الأصوات التي تطلب من الناس أن تصلّي.. شعرت يا رضا بخشوع غريب. هذا المشهد ولحظاته لا يزال يسري في أوصالي خشية بالغة»، ويعلق محمد رضا بالأسف لعدم وجود من كان سيتلقّف هذا الشعور ليرشده ويهديه ويقوّمه[١].

وبالعودة إلى الفيلم، الذي لم يكتمل على النحو المخطط له، فقد كان يحمل اسم (Brando, Brando) وهو يحكي قصة شاب تونسي يهاجر إلى الولايات المتحدة سعياً وراء الحلم الأمريكي بعد أن يقنعه أحد الأمريكيين في لقاء عابر بأنه يشبه في ملامحه النجم المعروف (براندو)، فتغير هذه الكلمات حياة الشاب ويحلم بأن يسير بالفعل على خطا (براندو)، وتبدأ رحلة السعي الشاقة للقاء به في هوليود، ولكن الحلم سرعان ما يتبدد عندما يصطدم الشاب الحالم بواقع المسلمين في أمريكا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، وينتهي به الحال عاملاً في أحد المطاعم، وقد يذكّر مطلع القصة برواية (عراقي في باريس) للكاتب العراقي صموئيل شمعون وبكل ما فيها من سخرية من الواقع.

ومن الجدير بالذكر أن الباهي أعاد صياغة سيناريو فيلمه بعد حذف المشاهد التي يمثلها براندو، وبدأ تصويره بعد سنتين من توقفه، انطلاقاً من مهرجان كان الفرنسي الذي كان قد شهد إعلان نبأ الفيلم من قبل.

(١) المرجع السابق.

المنتجون يواجهون المشاكل ذاتها

تتماثل تجارب العرب ذاتها نجاحاً وفشلاً في مجال الإنتاج كما في المجالات الأخرى، ويحضرنا أولاً اسم المنتج اللبناني **ماريو قصار** الذي هاجر مع والده إلى روما في طفولته، وتعلّم منه حرفة توزيع الأفلام، ثم حملها معه عندما استقل بعمله في هوليود ليبدأ مسيرته في إنتاج الأفلام الضخمة، وكانت بدايته مع (سلفستر ستالون) لإنتاج سلسلة (رامبو) الشهيرة بدءاً من فيلم (**الدم الأول**) عام **١٩٨٢**، وبعد نجاحه اللافت تابع قصار إنتاج هذه السلسلة مع البطل الأمريكي الذي تحول إلى أسطورة عالمية، ثم قرر العمل مع "أرنولد شوارزنيغر" لإنتاج أول أفلام سلسلة المدمر (**ترمينايتور**)، والتي حققت أيضاً نجاحاً كبيراً ليستمر الاثنان معاً في إنتاج بقية أجزاء السلسلة. كما أنتج قصار أفلاماً شهيرة أخرى مثل فيلم (**غريزة أساسية**) من بطولة (مايكل دوغلاس)، والفيلم الشهير بوابة النجوم (**ستار جيت**) عام **١٩٩٤**، وقد رشح فيلمه (**شابلن**) **لثلاث جوائز أوسكار، ولكنه لم يحصل على أي منها.**

وبالنظر إلى قائمة الأفلام السابقة، فإن قصار لا يعدو كونه رجل أعمال ناجحاً يتقن استثمار أمواله في أكثر الأفلام ربحاً، مما جعله من أغنى منتجي هوليود في السبعينيات والثمانينيات، وما زال قصار مستمراً حتى الآن في إنتاج أفلامه الضخمة والمربحة والتي تدور معظمها حول العنف والجنس.

وقد صرّح قصار في لقاء تلفزيوني جواباً عن سؤالٍ عن طموحه إلى تغيير صورة العرب في هوليود بأنه لا يحب السياسة، وأنه يتمنى لو يستطيع فعل شيء من خلال فيلم ولكن الأمر معقد جداً[١]. ولكن تجربة

(١) الشرق الأوسط، العدد ٩٠١٣، ٢ آب/أغسطس ٢٠٠٣.

قصار في الإنتاج تؤكد أن صناعة الأفلام تفعل الكثير، فقد رسخت سلسلة (رامبو) صوراً نمطية معروفة في العالم كله للجندي الأمريكي الأسطوري الذي يقتل كتيبة كاملة بيديه العاريتين، حتى أصبحت هذه الأفلام مضرب المثل في العنجهية الأمريكية.

من جهة أخرى، وبعد أن اجتمع المخرج (جيمس كاميرون) مع النجم (شوارزنيغر) في أول أفلام سلسلة (**المدمر**) تابع الاثنان عملهما لإنجاز واحد من أكثر الأفلام إساءة وافتراء على العرب والمسلمين، وهو فيلم (أكاذيب حقيقية). وفي الوقت الذي ندد فيه العرب بهذه الوقاحة، استمر قصار في التعاون مع هذا الثنائي لإنتاج الأجزاء التالية من سلسلة (المدمر)، منحياً مرة أخرى جميع القضايا التي قد تعكر عليه صفاء نشاطه الاستثماري، ولن يمنعنا هذا السلوك من الإشادة بعبقرية هذا المنتج العربي الناجح.

تجربة مماثلة نجدها لدى أحد أصدقاء قصار؛ وهو المنتج اللبناني (**إيلي سماحة**)، الذي بدأ مسيرته الفنية من أسفل السلم عندما انتقل من نيويورك إلى هوليود ليجرب حظه في أرض الأحلام، وكانت البداية في العمل حارساً على باب ملهى ليلي، حيث أتيحت له فرصة تعرف عدد من العاملين في الوسط الفني، فبدأ بمواعدة إحدى عارضات الأزياء التي أتاحت له الدخول إلى عالم الفن، ثم تقدم لخطبة الممثلة (بروك شيلدز)، وتزوج بعدها بفتاة أخرى تنتمي إلى الطبقة ذاتها، مما سمح له -حسب قوله- بالاطلاع على الثروات الهائلة التي تجنيها هذه الشريحة من الناس، ويضيف مصرحاً لأحد الصحفيين: «وهذا ما دفعني إلى اختيار مهنتي، المال كان هدفي الأول والأخير وهو أساسي بالنسبة إلي، لم أصبح منتجاً لأنني أحب هذه المهنة بالذات، بل لأن عالم الأفلام وعالم الموسيقى أبديان، وهما مصدران للمال لا يشح منهما»[1].

(١) صحيفة البيان، ٢٦/ ١٠/ ٢٠٠٨.

مثال آخر لهذه الفئة من المنتجين نجده بوضوح أكبر في تجربة رجل الأعمال والمنتج التونسي **طارق بن عمّار**، والذي أسس سنة **١٩٧٥** شركة (كارتاجو) للإنتاج السينمائي العالمي، وساهم في تقديم خدمات الإنتاج لعدد من الأفلام الأوربية والأمريكية التي صورت في تونس مثل (**غزاة التابوت المفقود**) و(**حياة بريان**)، وفي عام **١٩٨٥** أسس بالاشتراك مع سيلفيو برلسكوني، الذي أصبح رئيس وزراء إيطاليا فيما بعد، شركة (كينتا) للإعلام، وأدار جولة مايكل جاكسون العالمية ما بين عامي **١٩٩٦** و**١٩٩٨**، وهو يسيطر الآن على مجموعة (كينتا) العاملة في قطاع التوزيع السينمائي وتقنيات الصوت والصورة، ويملك ١٤٪ من أسهم قناة (براز) الفرنسية، ويشغل منصب عضو مجلس الإدارة في شركتي (ميدياسات) و(ميديوبانكا) في إيطاليا، وقد شارك في إنتاج ما يزيد على خمسين فيلماً عالمياً خلال ربع قرن، تصل كلفتها الإجمالية إلى نحو خمس مئة مليون دولار.

ومن المحطات المهمة في تجربة هذا المنتج العالمي توليه مهمة توزيع فيلم (**آلام المسيح**) للمخرج (مل غيبسون) في أوربا، والذي ما زال يُصنف لدى الكثيرين على أنه أقوى فيلم تبشيري في تاريخ السينما.

هذه الرؤية (البراجماتية) التي تقدم الربح على أي اعتبار آخر تتجلى أيضاً في نشاط المليونير المصري (**محمد الفايد**) وابنه الراحل (**دودي**)[١] اللذين حققا معاً ما لم يحققه أي عربي حتى الآن في مجال الأوسكار. فقد شاركا في إنتاج فيلمي (**عربات النار**) عام **١٩٨١**، و(**سائق مسز ديزي**) عام **١٩٩٩**، فرُشح الأول لسبع جوائز وفاز بأربع منها وعلى رأسها جائزة أفضل فيلم، أما الثاني فرُشح لتسع جوائز وفاز بأربع منها أيضاً، ومن بينها جائزة أفضل فيلم. ويحكي الفيلم الأول (عربات النار)

(١) اسمه الأصلي عماد الفايد.

قصة عدّاء يهودي يفوز بالميدالية الذهبية في الأولمبياد في فترة العشرينيات التي شهدت تصاعد الطموح الصهيوني لاستعادة (أرض الميعاد)، إذ نسمع بكل وضوح مدربه اليهودي وهو يشجعه على الفوز بقوله: «ليست لديك أي فرصة للتراجع.. تقدم وافعلها من أجل إسرائيل.. وما دام اليهود يتميزون بكل هذا الثبات فإني أؤمن فعلاً بأنهم شعب الله المختار»!.. أما الفيلم الثاني (سائق مسز ديزي) فتدور قصته حول العلاقة الحميمية التي تجمع بين أرملة يهودية (مسز ديزي) مع سائقها الأسود، وتجري هذه الأحداث في فترة الخمسينيات والستينيات التي كان التمييز العنصري فيها ما زال سائداً وخصوصاً في ولايات الجنوب الأمريكي التي تدور فيها القصة، حيث تظهر المرأة اليهودية في صورة الممثل الوحيد للمشاعر الإنسانية في مجتمع مشبع بالعنصرية[١].

من المؤسف إذن أن نلمس لدى المنتجين اليهود كل الحرص على تحقيق مصالح شعبهم وبشتى الوسائل، وتعاونهم على ممارسة الضغط الذي يضمن انصراف جوائز الأوسكار للأفلام التي تحقق غايتهم، في الوقت الذي لا يكتفي فيه بعض المنتجين العرب بتغيير أسمائهم والانسلاخ عن هويتهم، بل يضخون ملايين الدولارات لتمويل هذه الدعاية البغيضة للصهاينة سعياً وراء الربح!

مصطفى العقاد.. محاولة يتيمة!

في ظل التكتل الصهيوني الذي يحكم قبضته على هوليود، وأمام التخاذل العربي والإسلامي اللاهث وراء المكاسب الشخصية، لمع اسم عربي وحيد في سماء هوليود منذ مطلع الستينيات، وظل يكافح وحيداً من أجل رسالته خمسة وأربعين عاماً حتى وافاه القدر.

---

(١) أحمد رأفت بهجت: العرب.. ٨٠ عاماً مع (الأوسكار)، مجلة العربي، تموز/ يوليو ٢٠٠٨.

وُلد المخرج والمنتج **مصطفى العقاد** سنة **١٩٣٥** لعائلة متواضعة في مدينة حلب السورية، وانتقل في سن التاسعة عشرة إلى الولايات المتحدة لدراسة الإخراج السينمائي بعد إقناع والده بجدوى هذه الخطوة الجريئة، والتي لم يفلح أحد ممن حوله في ثنيه عنها، إذ لم يكن قد سبقه أحد من العرب إلى اقتحام هوليود من خارج الولايات المتحدة.

تخرج في جامعة (UCLA) عام **١٩٥٨** وبدأ البحث عن عمل، فرفضت سبعة استوديوهات كبرى في هوليود توظيفه، مما دفعه لتأجيل طموحه السينمائي والعمل في مجال الإعلام لدى بعض المحطات التلفزيونية.

في عام **١٩٦٢** استطاع العمل في هوليود ببداية متواضعة، أتاحت له فيما بعد التعرف على كواليس عاصمة السينما العالمية، مما مهّد له في العام **١٩٧٦** إنتاج وإخراج أول فيلم عربي عالمي عن الإسلام، وقدم نسختين بالعربية والإنجليزية من فيلمه الشهير (**الرسالة**) مع تبديل أدوار النجوم بين ممثلين عرب وأمريكيين، مسنداً بطولة النسخة الإنجليزية إلى كل من (أنتوني كوين) و(أيرين باباس)، ولم يخل العمل من الصعوبات؛ وأهمها الرفض الذي لقيه الفيلم من قبل بعض الجهات الإسلامية لأسباب شرعية وتاريخية، ولكن ذلك لم يمنع استكمال تصويره ونجاحه. وفي عام **١٩٨١** أنتج وأخرج فيلمه الثاني (**أسد الصحراء**) حول قصة كفاح البطل الليبي عمر المختار ضد الاحتلال الإيطالي، وانضم في بطولة الفيلم إلى كل من (كوين) و(باباس) النجم (أوليفر ريد).

لقي الفيلمان قبولاً منقطع النظير لدى الجمهور العربي والمسلم، إذ كانت المرة الأولى التي تحكى فيها قصص محلية بإخراج عربي وبتقنيات ونجوم هوليود، وما زال الفيلمان يشكلان إرثاً ثقافياً مهماً للعرب والمسلمين خصوصاً مع عدم تكرار هذه التجربة، ويُذكر أن أحداث أيلول/سبتمبر عام **٢٠٠١** أدت إلى تزايد الاهتمام الغربي بالإسلام مما

أعاد الاعتبار إلى فيلم الرسالة بصفته مصدراً مهماً للمعلومات عن الإسلام.

ظل العقاد يبحث طوال عشرين سنة عن ممول لفيلم لم يُنجز حول قصة صلاح الدين الأيوبي، كما كان يحضّر قبل وفاته لمشاريع أخرى تحمل همّ الإسلام والمسلمين، ومنها مشروع فيلم يحكي قصة (صبيحة الأندلسية) التي حكمت الأندلس، وفيلم آخر يدور حول قصة البطل الشيشاني (محمد شامل) الذي ناضل بضراوة ضد القياصرة الروس دون أن يسمع عنه معظم المسلمين، وفيلم ثالث يعرض قصة الملك الإنجليزي الذي أرسل في عام ١٢١٣ وفداً إلى الخليفة الأندلسي في قرطبة يعرض عليه اعتناقه للإسلام هو وشعبه مع دفع الجزية في مقابل وضع إنجلترا تحت حماية الخليفة، ولكن الخليفة طرد الوفد الإنجليزي لاعتقاده - حسب الرواة- بأن الملك الذي يسلم شعبه إلى قوى أخرى ليس أهلاً لحمايته!.. وقد نشرت صحيفة (الصاندي تايمز) البريطانية الوثائق التي تؤكد هذه القصة العجيبة.

المؤسف في الأمر؛ وبعد أن شرع العقاد في التحضير لفيلم صلاح الدين الذي تأجل عشرين عاماً ورشح لبطولته النجم (شون كونري)، عاجله الموت في انفجار هز العاصمة الأردنية عمان سنة ٢٠٠٥ أثناء وجوده بصحبة ابنته في أحد فنادقها.

لقد حقق العقاد حلم الملايين من العرب والمسلمين بتمثيلهم في عاصمة السينما العالمية، وظل يحارب وحده في هذا الميدان لأكثر من أربعة عقود، على الرغم من المضايقات التي تعرض لها منذ أيامه الأولى في هوليود، والتي كشفت عنها شقيقته الإعلامية ليلى العقاد، بعد وفاته، في حديث لوكالة (يونايتد برس أنترناشونال) بتاريخ ٢٠-٧-٢٠٠٧، قالت فيه: «لقد حاربوه كثيراً لدرجة أنه لم يكن يجد مكاناً لعرض أفلامه، حتى

إنه كان مضطراً لشراء صالة سينما ليعرض أفلامه»، كما صرحت في الحديث نفسه بأنه تعرض للمضايقة أيضاً من جهات عربية، وأبدت تعجبها من هذه المواقف غير المفهومة، مما يعني أن الضريبة التي دفعها العقاد كانت مضاعفة!

من أجل ذلك صرح العقاد في أكثر من مناسبة بعدم اعتماده على التمويل الخارجي لإنجاز أفلامه التي تحقق أهدافه السامية، فاضطر لإنتاج سلسلة أفلام الرعب (هالوين) بأجزائها الثمانية، وانتقده على هذا التوجه البعض ممن لم يجدوا فيه مبرراً مقنعاً، وسواء كان الرجل مصيباً أم مخطئاً فإن أحداً لم يشكك في صدق رسالته.

يقول العقاد في لقاء أجري معه بعد إنتاج فيلم الرسالة: «لقد عملت الفيلم لأنه كان موضوعاً شخصياً بالنسبة إلي، شعرت بواجبي بوصفي مسلماً عاش في الغرب بأن أقوم بذكر الحقيقة عن الإسلام. إنه دين لديه ٧٠٠ مليون تابع في العالم، هناك فقط القليل المعروف عنه، مما فاجأني. لقد رأيت الحاجة بأن أخبر القصة التي ستصل هذا الجسر، هذه الثغرة، إلى الغرب»[١].

ويقول في لقاء آخر: «كون اسمي (مصطفى) هذا وحده يشكل صعوبة كبيرة، كان بإمكاني أن أغيره لأمارس عملي بسهولة، لكن كيف أغير اسمي الذي أورثني إياه أبي؟! لقد كنت - ولا أزال - متشبثاً به.. وتابعت عملي بإصرار وفرضت على الجميع في هوليود وخارجها احترام اسمي»[٢].

من أجل هذه المواقف النبيلة وغيرها استحق العقاد ما لقيه من احتفاء

(١) نقلاً عن موسوعة ويكيبيديا.

(٢) لقاء مع مجلة عربيات الإلكترونية، ٢١ آب/أغسطس ٢٠٠٣.

عربي وإسلامي في العالم كله، فالشعوب لا تعرف المداهنة والمجاملة في حق عظمائها، وقد لا نبالغ في القول بأن العقاد -رحمه الله- هو أحد الرجال القلائل في هذا العصر الذين يشعر المسلمون جميعاً بأنهم يخصونهم، وذلك مع كل ما قيل عن عدم تدينه في حياته الخاصة. أما أهل مدينته حلب فقد عبروا عن حزنهم لفقده بمواكب حاشدة لتشييع جنازته، وأطلقوا اسمه على أحد شوارع المدينة، وعلى أحد مدرجات جامعاتها، ووضعوا له نصباً تذكارياً عند مدخلها.

شيراز حسن.. شاب باكستاني يجدد الأمل!

مع الأسف فإن الكثير من العرب لم يسمعوا بعد باسم هذا الشاب الناجح (شيراز حسن)، الذي استحق بجدارة جائزة الحلم الأمريكي لإثباته إمكانية النجاح في هوليود بدءاً من نقطة الصفر. أما ما يثير دهشتنا وإعجابنا معاً فهو حرصه على عدم الانسلاخ عن هويته وقدرته على كسب إعجاب الطرفين معاً: المسلمون في العالم كله، وعمالقة هوليود!

نشأ الشاب الباكستاني (شيراز) مع عائلته المتدينة في بريطانيا، ولم يكمل دراسته إلى المرحلة الثانوية، إذ فقد والده وهو في سن السادسة عشرة مما اضطره إلى إعالة عائلته بالإشراف على مطعم الأسرة (تنسلتاون كافيه) في وسط لندن، وهو المطعم الذي بدأ مقهى صغيراً ثم حوّله شيراز بحنكته واجتهاده إلى مطعم يعمل على مدار الساعة، ومع أن المطعم كان يمتنع عن تقديم المشروبات الكحولية فقد اكتسب قبولاً لدى زبائنه المخلصين لبشاشة مديره (شيراز) وكفاءة موظفيه وجودة خدماته.

في مطلع عام ٢٠٠٣، وبعد أن اطمئن شيراز إلى نجاح المطعم وقدرته على إعالة العائلة، انطلق إلى لوس أنجلوس وليس في جعبته سوى ألفي جنيه إسترليني مع حلم متواضع بفتح دكان صغير لبيع الحليب المخفوق

(ميلك شيك)، وسرعان ما تضخم الحلم ليصبح شيراز بعد سنة ونصف نجماً تلفزيونياً عالمياً.

لاحظ شيراز في البرامج التلفزيونية نقصاً في التواصل بين الشرق والغرب، فقرر إنتاج برنامج تلفزيوني يجمع بين بوليود الهندية وهوليود، وعرض الفكرة على شركة (بي فور يو) فأعجبوا بها، وكُلف بتنفيذ الحلقة التجريبية الأولى مع أنه لم يكن يملك المال الكافي حتى لاستئجار معدات التصوير، فعاد إلى هوليود وشعر بأنه في ورطة حقيقية، ولكنه ظل يصلي إلى الله بالقرب من شعار هوليود الشهير مما أثار فضول المنتج السينمائي (مايكل ليفي) الذي استمع إلى قصته وقدمه إلى (رونالد بيركنز) مؤسس (وكالة الفنانين المبدعين)، وسرعان ما فُتحت له الأبواب وتمكن من تصوير الحلقة الأولى مع كبار نجوم هوليود مثل (إدي ميرفي)، (روبرت دي نيرو)، (آشلي جود) و(بن آفلك)، وكانت مجرد خطوة أولى على طريق النجاح الذي حققه برنامجه الشهير (Tinseltown TV)، والذي تحول إلى علامة تجارية مربحة تستقطب المعلنين من عدة قارات، ثم تولى شيراز مهمة إنتاج برنامجه بنفسه وأصبح مليونيراً في الثلاثين من العمر[١].

تميز برنامج شيراز بمسحته الشرقية غير المألوفة في هوليود وتجنب القضايا التافهة في الحياة الشخصية للنجوم، كما أنه لا يتعرض إلى المسائل الدينية المباشرة في حياتهم ولكنه ينجح بذكائه في النفاذ إلى الجانب الروحي بأسئلته العميقة مثل: ماذا تفعل لكي تبقى متوازناً وسط إرهاق العمل وأضواء النجومية؟ وتتفاوت الأجوبة بين الارتباك والإيمان بالله وفعل الخير والهوايات المفيدة، ولكنها تكشف للمشاهدين خواء

(١) المهدي عبد الوهاب، الشرق الأوسط، العدد ٩٣٩٠، ١٣ آب/أغسطس ٢٠٠٤.

حياة النجوم المغرقة في المادية وتُعرّي حقيقة هوليود ذات البريق المصطنع، وتبرهن على أن بساطة هذا الشاب المسلم وإخلاصه قد أكسباه قلوب خمس مئة مليون مشاهد حول العالم، ممن التفوا مع أسرهم وأطفالهم حول الشاشات لمتابعة خطاب إعلامي خارج عن المألوف، يلامس قلوبهم وعقولهم بلغة مبسطة وبأسلوب بصري مبهر وعالي الاحترافية.

نجاح شيراز لم يتوقف عند حدود العمل مذيعاً ومنتجاً لبرنامج تلفزيوني، فهو يدير اليوم إمبراطورية إعلامية ذات امتداد عالمي، ففي تموز/يوليو ٢٠٠٥ أطلق شيراز شبكة (www.Hollywood.tv) على الإنترنت التي أصبحت خلال أقل من عام واحد أقوى شركة إعلامية متخصصة بأخبار النجوم في العالم كله، وتعد مرجعاً رئيساً لوسائل الإعلام الأمريكية والعالمية مع اشتهارها بالابتعاد ما أمكن عن الفضائح، وهي اليوم علامة تجارية تقدر بمليارات الدولارات. وفي عام ٢٠٠٨ افتتح شيراز مقهى جديداً في لوس أنجلوس يحمل اسم (ملايين الحليب المخفوق) امتداداً لمقهى (تنلستاون) الذي انطلق منه، حيث يمكن فيه تذوق نكهات الحليب بأسماء النجوم، وجميع مشروباته طبعاً خالية من الكحول، وسيصبح أيضاً اسماً تجارياً لسلسلة مقاهٍ تمتد فروعها إلى أنحاء العالم. وفي عام ٢٠١٠ أضاف شيراز إلى إمبراطوريته ثلاثة مواقع كبرى يتخصص أحدها في أخبار الرياضة، في حين يقدم الآخران كلاً من إمارتي دبي وأبو ظبي إلى العالم.

وكما هي عادة النجوم، يخصص شيراز جزءاً من نشاطه للعمل التطوعي، لذا اختارته الأمم المتحدة سفيراً عالمياً للشباب في قضايا حقوق الإنسان وممثلاً خاصاً لأصدقاء الأمم المتحدة. كما استحق

عشرات الجوائز والألقاب وشهادات الثناء من مسؤولين ونجوم أمريكيين وعالميين، ومن أهمها لقب (سفير الشرق الأوسط إلى هوليود) في مسابقة الموسيقى العربية في دبي العام ٢٠٠٤، و(سفير هوليود إلى بوليود) في حفل الأوسكار الهندي سنة ٢٠٠٥. وقد أطلق شيراز سيرته الذاتية في عام ٢٠٠٦ بصفته (الحلم الأمريكي المسلم)، والتي كسبت أيضاً العديد من الجوائز[١].

ومع أن تجربة شيراز لا تخلو من الملاحظات، وحرص الجهات الرسمية والإعلامية الأمريكية على تقديمه نموذجاً للمسلم الأمريكي المعتدل وفقاً لشروطها، فإنه أثبت مرة أخرى قدرة المسلمين على النجاح في هوليود، وأن تقديم بعض التنازلات لا يستدعي الانسلاخ عن الهوية أو العمل لأجل الربح المادي البحت، ويقول شيراز: إن كثيراً ممن قابلوه كانوا يقولون: إن المسلمين لا يمكن أن يحققوا نجاحاً في هوليود، لكنه كان يصر على موقفه ولا يخجل من الانتماء إلى دينه[٢].

وبهذه الثقة والعزيمة والإيمان؛ استحق شيراز جائزة (الحلم الأميركي) التي تمنح سنوياً لأصحاب النجاحات الكبرى، وقد فاجأ جمهور الحفل عندما صعد إلى المسرح لاستلام جائزته مصطحباً والدته المحجبة، وقال وسط تصفيقهم الحار: «اسمحوا لي أن أقدم هذه الجائزة إلى والدتي فقد وعدتها بذلك من قبل، ولتعلموا أني لم أنلها إلا لأني قمت بسبع عمرات وحجة واحدة، دعوت فيها الله ليحقق ما أتمنى»[٣].

---

(١) الموقع الرسمي لشيراز حسن www.sheeraz.com.

(٢) شيراز يدعو لدعم استوديو للمسلمين في هوليود، الشرق الأوسط، العدد ٩٣٩٠، ١٣ آب/أغسطس ٢٠٠٤.

(٣) المرجع السابق.